كفاية ليلة

لفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

حفظه الله وغفر له

كلمة ألقيت بجامع سار بمملكة البحرين

ليلة الثلاثاء سنة ١٤٣٧هـ

الحمد لله الذي أحاط عباده المؤمنين بحصون الوقاية، وأمدَّهم بأنواع الرعاية والعناية، أحمدُه سبحانه وأشكره، ومن جميع مساوئ عملي أستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة الموحدين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رحمتُه المهداة إلى العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها المؤمنون، إنَّ الله سبحانه وتعالى بعث إلينا محمدًا ﷺ رؤوفًا رحيمًا، فما ترك بابَ خير إلا دلَّنا عليه، ولا باب شر إلا حذرنا منه، وإنَّ من أبواب الخير التي أرشدنا إليها محمدُ ﷺ بابٌ تحصل لنا به كفاية أيُّ كفاية، ففي صحيح البخاري من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: "من قرأ آخر آيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه"، فنعت ﷺ في هذا الحديث مع وجازة ألفاظه وقلة مبانيه أمرًا عظيمًا، وهو تحصيل شيء تحصل به الكفاية في الليل كلِّه، فقال ﷺ: "من قرأ آخر آيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه".

فقوله ﷺ: "مَن" دالٌّ على عمومه في جميع الأفراد، والمراد بها: الأفراد الصالحة ممن اتصف بكونه مسلمًا عاقلاً مميزًا، فمن اتصف بهذه الصفات الثلاثة فقرأ هذين الآيتين، رُجي له حصول الوعد الموعد به فيهما، فلو قرأهما غيرُ مميز لا توجد منه نية القصد، أو غيرُ عاقل، أو كافر غير مسلم، لم يحصل له الجزاء المذكور في هذا الحديث.

ثم قال ﷺ –مرشدًا إلى العمل المحصِّل بهذا الثواب–: "من قرأ" والقراءة لها ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: أن يقرأها بإسماع نفسه وإسماع غيره.

والمرتبة الثانية: أن يقرأها بإسماع نفسه فقط.

والمرتبة الثالثة: أن يقرأها بلا إسماع، بل بتحريك شفتيه وفَمِه ولسانه فقط.

فأما المرتبة الأولى فهي مرتبة كاملة، أن يقرأها الإنسان بصوتٍ واضح بيِّنٍ يسمع به نفسه، ويسمع به غيره، ما لم يشوش عليه، ككونه قارئًا أو مصليًّا.

والمرتبة الثانية أن يقرأها بإسماع نفسه فقط، وهي دون المرتبة الأولى، والمرتبة الثالثة أن يقرأها ولا يسمع نفسه، وإنما يحرك لسانه وشفتيه، فكلٌّ هذه المراتب يَصح فيها فعل القراءة، وأما إن سردها مُمِرًّا لها على صدره بلا تحريك شفتين ولا لسان، فإنَّ هذا لا يُسمى قراءة.

فأقلُّ ما ينبغي إذا أردتَ أن تصيب هذا الثواب المذكور في الحديث أن تحرك شفتَيَّك ولسانك عند قراء الآيتين.

ثم أرشد النبي ﷺ إلى المقروء المأمور به، فقال: "آخر آيتين من سورة البقرة"، فالجزاء متعلق بآيتين، وهاتان الآيتان كائنتان في آخر سورة البقرة، فلو أنَّه قرأ آيتين من أول سورة البقرة لم يَحصُل له الثواب، أو أنه قرأ آخر آية من سورة البقرة لم يحصل له الثواب، وإنما يحصل له الثواب إذا ابتدئ القراءة من قوله تعال:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ ﴾ حتى أتمَّ سورة البقرة، فإنه حينئذ يكون قارئًا للآيتين من آخر سورة البقرة.

ثم عين النبي ﷺ الوقت الذي يقرأ فيه تلك الآيتين وهو الليلة، والليلة إنما تبتدئ مع غياب قرص الشمس، فإذا غاب قرص الشمس بدخول وقت المغرب، فإنه يستحبُّ حينئذ المبادرةُ إلى قراءتهما، وإذا بكَّر العبدُ في قراءتهما في أول الليل، فقد قدَّم تحصين نفسه، وإذا أخَّر قراءتهما بعد المغرب أو بعد العشاء فقد أخَّر تحصين نفسه.

ثم قال ﷺ مبينًا الجزاء: "كفتاه"، والمراد: كفتاه من كلِّ ما يتخوفه، فكل شيء يتخوفه العبد، فإن قراءة هاتين الآيتين تدفع عنه شرَّ كلِّ ذي شر، سواء من أصحاب الشرور الظاهرة من شياطين الإنس، أو أصحاب الشرور الباطنة من شياطين الجنّ.

فهاتان الآيتان مع كونهما من أقلِّ قدر في سورة البقرة، فسورة البقرة سورة طويلة، لا تمثلان منها حتى العشر، وهاتان الآيتان لا تأخذان من أحدنا إذا قرأهما سوى دقيقةٍ واحدة، ومع ذلك يكون الجزاء أنَّ "من قرأ آخر آيتيتن من سورة البقرة في ليلة —أي: بعد غروب شمسها- كفتاه"، فأحرصوا رحمكم الله على قراءة هاتين الآيتين؛ لتُحصِّلُوا الكفاية في لياليكم كلها.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للخيرات، وأن يعيننا على فعل الطاعات، وأن يهيأ لنا من أمرنا رشدًا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.